جمعية
مركز الإمام الألباني
للدراسات والأبحاث

سلسلة الندوات العلميّة (١)
الإصدار (٥٠)

بلاد الشام و مستقبل الإسلام

شارك في الندوة

فضيلة الشيخ د. محمّد بن موسى آل نصر
فضيلة الشيخ أ. د. باسم بن فيصل الجوابرة
فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

سلسلة الندوات العلمية: (١)
الإصدار (٥٠)

بـــلادُ الشّـامِ
ومستقبلُ الإسلامِ

المشاركون في الندوة

فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن موسى آل نصر

فضيلة الشيخ الأستاذ باسم بن فيصل الجوابرة

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

فاتحة القول

إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنَّ أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

لقد اخترنا هذه الندوة لتكون بعنوان: «**بلاد الشام ومستقبل الإسلام**»؛ لما ورد في شأن بلاد الشام من آيات محكمة في كتاب الله، وأحاديث صحيحةٍ ثابتة في سنة رسول الله ﷺ.

ولبلاد الشام فضائل جمَّة كثيرة؛ ينبغي لطلاب العلم أن يعرفوها جيدًا؛ ليأخذوا من يومهم لغدهم، ومن حاضرهم لمستقبلهم، فيُعِدُّوا العدة، ولا يستعجلوا؛ فيستطيلوا المدّة، ويتأهبوا لما أراد الله -سبحانه وتعالى- لهذه الأرض المباركة من خيرٍ قادم -بإذن الله- سبحانه وتعالى- حيث ستشهد الانطلاقة الكبرى لأهل السّنّة والجماعة: أتباع السلف الصالح أهل الحديث -بمنَّة اللهِ وتوفيقهِ-.

وحسبنا للدلالة على ذلك حديث: سلمة بن نفيل الكِندي -رضي الله عنه- قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، أذال(١) الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، وقد وضعت الحرب أوزارها؛ فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه، وقال: «**كذبوا، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمّة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحى إليَّ: أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفنادًا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعُقر دار المؤمنين بالشام**»(٢).

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:٤-٥].

ولتعلمنَّ نبأه بعد حين.

(١) أي: أهانوها؛ واستعملوها للحراثة أو الركوب لغير الجهاد، وهي معدودة للجهاد.

(٢) رواه النسائي، وأحمد، وصححه شيخنا الألباني -رحمه الله- في «الصحيحة» (١٩٣٥).

اهتمام علماء الإسلام ببلاد الشام

❍ فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان:

أقول وبالله -سبحانه وتعالى- أصول وأجول:

إنّ المؤلفات التراثيّة حول بلاد الشام كثيرة جدًّا، وهي متنوعة في تأريخ الشام، وحدودها، وأعلامها، وأسماء ولاتها وقضاتها، وكذلك في تسمية شيوخها ومحاسنها، بل قد صنفت في نكباتها وحكم أراضيها، وحدودها.

فللتَّمْرَتاشي كتاب بعنوان: «الخير التام في حدود الأرض المقدسة والشام» (١).

وذكروا كذلك المفاضلات بين الشام وغيرها، ولا سيما بين الشام ومصر، وقد أفرد هذا الموضوع غير واحد في التصنيف، وأختصر السرد مع تعليق وجيز بالكتب الخاصة في فضائل الشام.

كتب الفضائل كثيرة: بعضها ما زال مخطوطًا، وطبع غير كتاب منها، ووجدنا في كتب التراجم، وكتب الأثبات والفهارس، وكتب البلدان -أيضًا- عددًا لا بأس به، لا نعرف له أثرًا، ولم نحصّل على نسخ هذه العناوين، وهأنذا أقدم ما وقفت عليه

---

(١) له نسخ عديدة ذكرها بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (٨/ ٣٤٥).

ممن كتب في هذا الباب، فمنها: كتاب للهيثم بن عدي المتوفى سنة (٢٠٧هـ) وكتابه اسمه: «مديح أهل الشام» (١)، وذكره النديم(٢) في كتابه: «الفهرست».

ومن الكتب المعروفة التي شهرها شيخنا الألباني -رحمه الله تعالى- بتخريجه أحاديثها كتاب: أبي الحسن علي بن محمد الربعي المالكي المتوفى سنة (٤٤٤هـ) الموسوم بـ: «فضائل الشام وفضل دمشق»، واختصره ابن الفركاح الفزاري المتوفى سنة (٧٢٩هـ)، واختصر ابن عمَّار كتاب ابن الفركاح -أيضًا-(٣)، فهذا الكتاب جرَّد الأسانيد وسماه: «الإعلام بفضائل الشام».

ثمَّ عنَّ لشيخنا -رحمه الله تعالى- أن يجدد طبع تخريج أحاديثه في رسالة مفردة، وفعل ذلك، وأفصح عن السبب؛ بقوله: «تعميمًا للاستفادة من هذه الأحاديث، حتى يعلم الناس أنّ في فضل الشام أحاديث كثيرة صحيحة، خلافًا لظنّ بعض الكتّاب، وحتى يعرف المستوطنون فيها فضل ما أنعم الله به عليهم؛ فيقوموا بشكره بالعمل الصالح، وإخلاص العبادة لوجهه -سبحانه وتعالى-».

وطبع مع هذه الرسالة نبذة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بعنوان: «مناقب الشام وأهله».

---

(١) وبعضهم أخطأ فنسبه إلى ابن عدي المحدث، وهو في الحقيقة للهيثم -المذكور أعلاه-.

(٢) وهنا أنبه على خطأ شائع حيث يقولون: ابن النديم! والصواب: النديم.

(٣) وله نسخ خطية عديدة محفوظة في عدة مكتبات منها: الظاهريّة، والأوقاف ببغداد، وبرلين.

ومن الكتب التي طبعت قبل نحو أكثر من عشر سنوات كتاب السمعاني: «فضائل الشام» فيه عشرون حديثًا مسندًا، وفيه آثار وأشعار، وله كتابٌ آخر اسمه: «فرط الغرام إلى ساكني الشام»(١) كتبه بخطه ووجهه إلى محبه وصديقه ابن عساكر المتوفى سنة (٥٦٠هـ).

وللعز بن عبدالسلام المتوفى سنة (٦٦٠هـ) كتاب اسمه: «ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام»(٢)، وكذلك المحدث الحافظ الشاب تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو محمد بن عبدالهادي المتوفى سنة (٧٤٤هـ) له كتاب بعنوان: «فضائل الشام»(٣).

ومن أجود الكتب التي أراها أوعبها، وأكثرها ترتيبًا، وأحسنها تنقيحًا وعرضًا: كتاب طبع حديثًا -ولعله في حدود علمي آخر ما طبع في فضل الشام- وهو كتاب الحافظ ابن رجب بعنوان: «فضائل الشام».

وهنالك كتب كثيرة قبل هذه المؤلفات، ولكنها قد دمج فيها فضائل الشام مع فضائل بيت المقدس، وعلى رأسها كتاب أبي المعالي المشرف بن المرجّى بن

---

(١) هذا الكتاب مطبوع عن دار الثقافة.

(٢) وهو مطبوع أكثر من مرة.

(٣) مطبوع مرتين.

إبراهيم المقدسي المتوفى سنة (٤٩٢هـ)، واسمه: «فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام»(١).

وفي هذا الباب(٢) كتاب: «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام»(٣) لشهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد بن سرور المقدسي المتوفى سنة (٧٦٥هـ)، وينبغي أن يذكر أنّ المطبوع من هذا الكتاب هو الجزء الثاني، وهو فقط ما يخص فضائل بيت المقدس، وأمّا الجزء الأول؛ فلم ينشر إلى الآن.

وكذلك طبع لضياء الدين المقدسي كتاب بعنوان: «فضائل بيت المقدس»، وهو في حقيقة أمره الجزء الثاني من كتاب «فضائل بلاد الشام» للضياء نفسه.

وهنالك -أيضًا- من الكتب التي جمعت بين فضائل بيت المقدس وفضائل الشام: كتاب لشمس الدين محمد بن محمد بن حسين الكَنْجي المتوفى سنة (٦٨٢هـ).

ومن الكتب التي طبعت في فضائل الشام: «الإعلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام» للبقاعي، وكذلك: «حدائق الإنعام في فضائل الشام» لابن عبدالرزاق الدمشقي المتوفى سنة (١١٣٨هـ)، وكذلك «بغية المرام في سكنى المدينة

---

(١) طبع مرتين، وكان السبق في طبعه -للأسف- لرجل يهودي اسمه (عوفر لينة)، وهذا هو المثبت على النسخة المحفوظة في توبنغن في ألمانيا الغربية، ثم نشر بتحقيق(!) أيمن نصر الدين الأزهري(!) عن دار الكتب العلميّة(!)

(٢) أي: الجمع بين فضائل الشام وغيره.

(٣) طبع بعناية أحمد سامح الخالدي.

والشام»(١)، وكذلك: «الروضة البهيّة في فضائل دمشق المحميّة»(٢) لمحمد عز الدين عربي كاتب الصيادي...

ومما ينبغي أن يذكر: أنَّ في «تاريخ دمشق»(٣) لابن عساكر كلامًا بديعًا جامعًا مستوعبًا للآثار والأحاديث في فضائل الشام، وفيه: أبواب ما جاء من النصوص في فضائل دمشق على وجه الخصوص.

وهنالك مخطوطات ما زالت محفوظة في بلاد المسلمين تحتاج إلى رعاية المحققين المدققين، وتحتاج إلى إبرازها، وإخراجها، وجلها محفوظة في ألمانيا الغربية في (مكتبة توبنغن)، ومنها مصورات في الجامعة الإسلامية، ومنها على سبيل المثال كتاب لعالم حنبلي هو عبدالرحمن بن إبراهيم المقدسي وكتابه بعنوان: «فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل بلاد الشام»، وكذلك في المكتبة نفسها كتاب بعنوان: «فضائل الشام وفضائل مدنها وبيت المقدس وعسقلان وغزة والرملة وأريحا ونابلس وبيسان ودمشق وحمص» -لا يُعرف مؤلّفه-، وهذا كتاب مسند، وبالإمكان أن يعرف اسم مؤلفه من خلال دراسة الأسانيد، ومن ذلك أنَّ مؤلفه يسند فيه عن ابن عساكر فهو شيخه -أي: ابن عساكر-، ويكثر فيه من النقل عنه؛ لذا فهو من تلاميذه.

---

(١) طبع بدمشق قديمًا.

(٢) طبع عن مطبعة المقتبس سنة (١٣٣٠).

(٣) (١/ ٢٠٣ – إلى آخر المجلدة).

ومن المخطوطات المحفوظة في مكتبة عارف حكمت في المدينة النبويّة لابن الإمام كتاب بعنوان: «تحفة الأنام في فضائل دمشق والشام»، وكذلك في الظاهريّة وباريس، وسليم آغا في استانبول، وقد رأيت أنَّ بعضهم ذكر الكتاب مخطوطًا -والله أعلم بصحة ذلك-.

ومنها كتاب بعنوان: «الإعلام بنبذة من فضائل الشام»، وفي معهد المخطوطات العربية لمجهول: «التحف العظام والأحاديث الكرام في فضائل الشام»، ولحسن المحمدي مخطوط في دار الكتب المصريّة كتاب بعنوان: «رسالة في الأحاديث الواردة في فضل الشام»، وللطرابلسي الأفيوني رسالة في دار الكتب المصريَّة بعنوان: «الروض البسّام في فضائل الشام»، ولعماد الدين بن محمد الحنفي المتوفى سنة (٩٢٠هـ) مخطوطة في بعض مكتبات بريطانيا بعنوان: «فضائل الشام»، وللبصراوي المتوفى سنة (١٠١٥هـ) في الظاهريّة، وعارف حكمت، وبرلين مخطوطة بعنوان: «تحفة الأنام في فضائل الشام»، وله -أيضًا-: «فضائل الشام ودمشق»، و«فتوح الإسلام على أيدي الصحابة الكرام».

ولكن لا بدَّ -أخيرًا- من التنويه إلى أنَّ بيت المقدس -بخاصّة- ألّفت كتب في فضائله ومخطوطات، فالدكتور كامل العسلي له كتاب: «مخطوطات فضائل

القدس» (١)، وللدكتور محمود إبراهيم كتاب بعنوان: «فضائل بيت المقدس لمخطوطات عربية قديمة، دراسة تحليلية، ونصوص مختارة»(٢).

ولا بدّ -في الختام- من الإشارة إلى أنّ اليهود نشروا كتبًا كثيرة في فضائل الأقصى، ولديهم حبٌّ وولعٌ في اقتناء الكتب في فضائل البلدان لا سيما مكة والمدينة، ولديهم دراسات عن مشاعر المسلمين نحو مقدساتهم من خلال كتب الفضائل؛ كي يتبيَّن لهم الخط البياني لنمو هذه المشاعر أو ضمورها، فحينئذٍ يساهمون في بث ما يؤدي إلى ضمورها استعدادًا للمعركة.

(١) طبع بعمان وذكر فيه (٤١) مخطوطة.

(٢) طبع في الكويت سنة (١٤٠٦هـ).

الآيات التي وردت في كتاب الله في ذِكر بلاد الشام

فضيلة الشيخ محمد موسى آل نصر:

قال الله -تعالى-: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ ﴾ [القصص:٦٨].

لقد اختار الله -عزَّ وجل- مكة والمدينة، واختار بلاد الشام، واختار المسجد الأقصى منها، واختار -سبحانه وتعالى- نبينا محمدًا ﷺ، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل شريعته هي خاتمة الشرائع، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، واختار الطائفة المنصورة إلى يوم الدين من هذه الأمّة، وجعلها في بلاد الشام، وأنَّ بلاد الشام في آخر الزمان هي مهوى أفئدة المؤمنين، وأنّها مهاجر إبراهيم الخليل، وأولياء الله الصالحين.

فبلاد الشام بلاد طيبة مباركة ذكرها الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، فهي مهجر إبراهيم الخليل، ومقام أكثر أنبياء الله-سبحانه-.

قال الله -تعالى- في كتابه: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا ﴾؛ أي: إبراهيم -عليه الصلاة السلام- ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:٧١] نجَّاه

من أذى قومه، ومن اضطهادهم حيث ألقوه في النار، فجعلها الله بردًا وسلامًا عليه، واختار له الأرض المباركة: اختار له فلسطين من بلاد الشام.

وأمر كليم الله موسى -عليه الصلاة السلام- قومه بدخول الأرض المقدسة من الشام؛ ليدخلوها فاتحين، ويقاتلوا الكفرة: العمالقة، ويطهِّروا الأرض المقدسة من رجسهم، لكنهم نكلوا، وقصتهم معروفة مشهورة؛ وهي في سورة المائدة.

قال الله -تعالى-: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ﴾ [المائدة:٢١]، ولما لم يكتب لموسى -عليه الصلاة والسلام- دخولها؛ بسبب نكول قومه عن الجهاد وتخاذلهم؛ شكا ضعفه إلى ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٥].

ومع وجود القوم الجبَّارين، ومع خذلان اليهود -الذين ديدنهم نقض المواثيق والعقود-، دعا موسى -عليه الصلاة والسلام- ربه حينما حان أجله أن يدنيه إلى الأرض المقدسة رميةً بحَجَر(١)، والقرب من الشيء يعطيه حكمه، ولذلك قال النبي ﷺ: «**لو كنت عنده لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر**» (٢).

وكان الإسراء بخاتم النبيين وسيد المرسلين محمد ﷺ بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكان عروجه من المسجد الأقصى إلى السماوات العلى، وقد ذكر ربنا ذلك في كتابه؛ فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ

(١) يعني: مقدار رمية حجر.

(٢) «صحيح الجامع» (٨٩٨).

بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء:١]؛ فقوله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾: يدل على أنَّ المسجد الأقصى وما حوله مما يحيط به من بلاد كلها مباركة.

ويستفاد من هذه الآية وصول النبي ﷺ أرض الشام، وقد دخلها ثلاث مرات:

مرة وهو صبي مع عمه في التجارة.

ومرة في الإسراء والمعراج.

ومرة وصل تخوم(١) بلاد الشام مع جيش العسرة في غزو تبوك.

وبلاد الشام ميراث الصالحين، قال الله -تعالى-: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ ﴾ [الأعراف:١٣٧].

الأرض: المقصود بها أرض الشام؛ قاله: الحسن، وقتادة، وزيد ابن أسلم، وسفيان.

وأجرى الله -عزّ وجل- الريح لسليمان -عليه الصلاة والسلام- إلى الأرض المباركة، وكانت القدس موطن سليمان -عليه الصلاة السلام-، ومكانه،

(١) أي: إلى حدودها وأطرافها.

ومقرّ مملكته، قال الله -تعالى-: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨١].

قال ابن جرير الطبري: «تجري الريح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها؛ يعني: أنها الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: إلى الأرض التي باركنا فيها» (١).

وقال الله -تعالى-: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ [سبأ:١٨]، والقرى الواردة في الآية: قرى بلاد الشام المتاخمة لقرى اليمن.

قال ابن جرير الطبري: «أي: جعلنا فيها الخير ثابتًا دائمًا لأهلها» (٢).

هنا أقول: إنّ هذه البركة قد تقلّ -أحيانًا- بسبب المعاصي والذنوب؛ فالمعاصي والذنوب سبب لهلاك الأمم والشعوب(٣).

وأقسم الله بالأرض المقدسة في كتابه المبين؛ فقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين:١-٣].

وذهب بعض المفسرون إلى أنّ:

---

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٧٣).

(٢) المصدر السابق (٩/ ٥٥).

(٣) وقد فصل ذلك تفصيلاً حسنًا ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في «الداء والدواء».

(التين) هو: الجبل الذي عليه دمشق، وعلى ذلك قتادة، وعكرمة.

و(الزيتون): الجبل الذي عليه بيت المقدس.

والمراد من الكلام على قول هؤلاء: القسم بمنابت التين والزيتون؛ لأنَّ دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس بها منابت الزيتون.

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-(١): «قال بعض الأئمة(٢):«هذه مَحالّ(٣) ثلاثة بعث الله في كلّ واحد منها نبيًّا مرسلًا من أولي العزم، أصحاب الشرائع الكبار؛ فالأول(٤): محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث فيها عيسى ابن مريم -عليه السلام-، والثاني: طور سينين: وهو طور سِيناء أو سَيناء -فيها وجهان- الذي كلم الله عليه موسى بن عمران -عليه السلام-، والثالث: مكة وهو البلد الأمين، الذي من دخله كان آمنًا، وهي التي أرسل الله -عزَّ وجل- فيها محمدًا ﷺ؛ ولهذا أقسم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم بالأشرف منهما».

كذلك ذكر الله -عزَّ وجل- بلاد الشام والأرض المقدسة، وجعلها مبوَّأ صدق، قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ [يونس:٩٣].

قال ابن كثير: «هو بلاد مصر والشام مما يلي بلاد المقدس ونواحيه»(٥).

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٦٣).

(٢) ويعني: شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «الجواب الصحيح» (٥/ ٢٠٧-٢٠٨).

(٣) جمع محلّ، وهو المكان.

(٤) يعني: المحل الأول.

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٤٧).

قال الطبري عن قتادة: «بوَّأهم الله الشام وبيت المقدس»(١).

وبلاد الشام هي المعنيَّة بقوله -تعالى-: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾ -تُقرأ: (رُبوة)، وهما قراءتان متواترتان- ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون:٥٠].

قال الضَّحاك وقتادة: «إنها بيت المقدس»، ورجحه الحافظ ابن كثير(٢).

وقال الأكثرون من المتقدمين: «إنها ربوة دمشق» (٣)؛ فترجح أنها بالشام لا بمصر ولا بالكوفة؛ كما قال مَنْ أَبْعَدَ القولَ(!)

إنّ تاريخ بلاد الشام مرتبط بسيرة أولي العزم من الرسل وغيرهم من الأنبياء والمرسلين؛ كلوط، وإسحاق، ويعقوب، وأيوب، وداود، وسليمان، واليسع، وذي الكفل، وزكريا، ويحيى -عليهم صلوات الله وتسليمه-.

ودخلها النبي ﷺ قبل البعثة، ولم يخرج من الحجاز إلا إليها، وبعد الهجرة توجه النبي ﷺ إلى مشارفها؛ فوصل تبوك، ولم يلق كيدًا، ووجَّه إليها جيش أسامة، فبدأ بها قبل غيرها من الأمصار، وكذلك فعل الصدّيق -رضي الله عنه- حتى إنه قال: «لأن أفتح كَفْرًا من كُفورِ بلاد الشام أحب إليَّ من أن أفتح مدينة من بلاد العراق»، وكذلك عمر -رضي الله عنه- لم يدخل العراق وإنما دخل فلسطين.

---

(١) «جامع البيان» (٧/ ٢٠٦).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٥٦-٢٥٧).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٥٦).

ذكر بلاد الشام في سنة الرسول ﷺ

○ فضيلة الشيخ باسم بن فيصل الجوابرة:

الأحاديث في فضائل الشام كثيرة، وربما ورد الحديث الواحد عن أكثر من صحابي، وعن أكثر من تابعي؛ ولهذا سنقتصر منها على أهمّها:

أولًا: فيها الطائفة المنصورة:

عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا تزال من أمتي أمّة قائمة بأمر الله، لا يضرّهم من كذبهم، ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»(١).

قال مالك بن يخامر: سمعت معاذًا يقول: «وهم بالشام».

ثانيًا: عُقر(٢) دار المؤمنين بالشام:

عن سلمة بن نفيل الكندي -رضي الله عنه-، قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه، وقال:

---

(١) متفق عليه.

(٢) أي: أصل الشيء وموطنه، وتقرأ: عَقر أو عُقر -بفتح العين وضمها-.

«كذبوا، الآن جاء القتال، ولا تزال من أمتي أمّة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوامٍ، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، ويأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وعقر دار المؤمنين بالشام» (١).

وهذا فيه تصريح: أنّ الطائفة المنصورة في الشام.

ثالثًا: الوصيّة بسكنى الشام والهجرة إليها:

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ستخرج عليكم في آخر الزمان نار من حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس» قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: **«عليكم بالشام»** (٢).

وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: سمعت رسول الله ﷺ: وأومأ بيده نحو الشام وقال:

«إنكم محشورون رجالًا وركبانًا ومُجَرُّون على وجوهكم» (٣).

وعن عبدالله بن حَوَالة -رضي الله عنه- قال: قال ﷺ:

«سَتُجَنّدون أجنادًا مجندة: جُندًا بالشام، وجُندًا بالعراق، وجُندًا باليمن».

---

(١) رواه النسائي، وأحمد، وصححه شيخنا الألباني -رحمه الله- في «الصحيحة» (١٩٣٥).

(٢) رواه الترمذي وأحمد، وصححه شيخنا -رحمه الله- في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» (ص٣٣).

(٣) رواه الترمذي وأحمد بإسناد صحيح، وحسنه شيخنا في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٥٨٢) بلفظ: «إنكم تحشرون رجالاً وركبانًا وتجرون على وجوهكم»، وهو عند أحمد والترمذي بلفظ: «إنكم محشورون رجالاً وركبانًا وتُجَرُّون على وجوهكم» وهو في «صحيح الترمذي» برقم (٢٥١٢).

قال عبدالله: فقمت فقلت: خرْ لي(١) يا رسول الله، فقال:

«عليكم بالشام، فمن أبى؛ فليلحق بيمنه، وليستَقِ من غُدُرِه، فإنَّ الله -عزَّ وجل- قد تكفّل لي بالشام وأهله» (٢).

رابعًا: الملائكة باسطة أجنحتها على الشام:

عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«طوبى للشام، طوبى للشام»**، قلت: ما بال الشام؟ قال: **«الملائكة باسطو أجنحتها على الشام»** (٣).

خامسًا: الإيمان حين تقع الفتن بالشام:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرت؛ فإذا هو نور ساطع عُمِد به إلى الشام، ألا إنّ الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام» (٤).

سادسًا: نفي الخير عن المسلمين إذا فسد أهل الشام:

عن معاوية -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا فسد أهل الشام، فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمَّتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» (٥).

---

(١) أي: اختر لي ودُلَّني على بلاد أسكنها؛ أي: عند تقسيم بلاد المسلمين، ووقوع الفتن.

(٢) رواه أبو داود وأحمد بإسناد صحيح، وصححه شيخنا في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» (ص١٣).

(٣) رواه الترمذي -وحسنه-، ووافقه شيخنا -رحمه الله- في «الصحيحة» (٥٠٣).

(٤) رواه الإمام أحمد، وصححه شيخنا في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» (ص١٤).

(٥) رواه الإمام أحمد، وصحَّحه شيخنا في «صحيح الجامع» (٧٠٢).

فانظر -رحمك الله-؛ فإنّ أكثر الأحاديث في الشام يأتي قبلها أو بعدها: «**لا تزال طائفة من أمتي...**»؛ وفيه دلالة وبيان على أن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية في بلاد الشام.

سابعًا: دعاء الرسول ﷺ لأهل الشام:

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**» قالوا: وفي نجدنا؟ قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: يا رسول الله: وفي نجدنا[1]؟ يريدون أن يدعو النبي ﷺ لأهل نجد، فما دعا لهم-البتّة-، قال: «**هنالك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»(٢).

---

(١) المراد: شرق المدينة النبويّة، وهي العراق على الراجح، كما فصَّل ذلك شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- فقال في «الصحيحة» (٢٢٤٦): «وإنما أفضت في تخريج هذا الحديث الصحيح، وذكر طرقه وبعض ألفاظه؛ لأنَّ بعض المبتدعة المحاربين للسنّة، والمنحرفين عن التوحيد يطعنون في الإمام محمد بن عبدالوهاب -مجدد دعوة التوحيد في الجزيرة العربية-، ويحملون الحديث عليه باعتباره من بلاد (نجد) المعروفة اليوم بهذا الاسم، وجهلوا -أو تجاهلوا- أنها ليست هي المقصودة بهذا الحديث، وإنما هي (العراق)؛ كما دلَّ عليه أكثر طرق الحديث.

وبذلك قال العلماء قديمًا وحديثًا؛ كالإمام الخطَّابي، وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

وجهلوا -أيضًا- أنَّ كون الرجل من بعض البلاد المذمومة لا يستلزم أنه هو مذموم -أيضًا- إذا كان صالحًا في نفسه، والعكس بالعكس، فكم في مكة والمدينة والشام من فاسق وفاجر، وفي العراق عالم وصالح.

وما أحكم قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء حينما دعاه أن يهاجر من العراق إلى الشام: «أما بعد؛ فإنَّ الأرض المقدسة لا تُقدِّس أحداً، وإنما يُقدِّس الإنسانَ عملُه».

(٢) «الصحيحة» (٢٢٤٦).

ثامنًا: فسطاط المسلمين يوم الملحمة في دمشق في الشام:

فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه-، قال: قال النبي ﷺ:

«يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرضٍ يقال لها: الغوطة، فيها مدينة يقال لها: دمشق؛ خيرُ منازل المسلمين يومئذٍ» (١).

(١) رواه أبو داود وأحمد، وصححه شيخنا -رحمه الله- في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» (ص٣٨).

بلاد الشام.... والفتن والملاحم

○ فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان:

هذه الملاحم نهايتها -كما أخبر النبي الأمين ﷺ، بجزمٍ ويقين، لا بظنٍّ وتخمين-، إنما هي للمسلمين، والكلام حولها كثير، ويحتاج إلى فهم وربط، والذي يتأمل الأحاديث الصحيحة الواردة في الملاحم والفتن تأملًا جيدًا، ويربطها مع بعضها بعضًا يجد أنَّ الله -عزّ وجلّ- سَيُعيدُ الخيْرَ للمسلمين قبل هذه الملاحم، ولا يَبْعُدُ أن يكون لهم خليفة عامّ قبل المهدي(١)؛ فقد ثبت من حديث عوف بن مالك-رحمه الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال: «**لن يجمع الله على هذه الأمّة سيفين، سيفًا منها، وسيفًا من عدوها**» (٢)، وأمتنا تجتمع عندما يزول الخلاف بينها، ولا سيما عندما تستعد لمواجهة عدوها.

ويعجبني تفسير شيخ الإسلام لقوله -عزّ وجل-: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [التوبة:٣٩] بأنَّ العذاب الأليم الوارد في هذه الآية هو قوله -عزَّ وجل-: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام:٦٥].

---

(١) وهذا الذي تؤيده الأدلة النقلية والعقلية.

(٢) أخرجه أبو داود، وصححه شيخنا في «صحيح الجامع» (٥٢٢١).

فبلاد الشام معقل المسلمين في الفتن، والله -عزّ وجل- يبعث منها موالي يؤيد بهم الدين؛ كما ثبت عن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: «**إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثًا من الموالي، أكرم العرب فرسانًا، وأجودهم سلاحًا؛ يؤيّد الله بهم الدين**» (١).

وقد تقدّم قول النبي ﷺ: «**فسطاط**(٢) **المسلمين بأرض يقال لها الغوطة، فيها مدينة يقال لها: دمشق؛ خير منازل المسلمين يومئذ**» (٣).

إنّ الملاحم -بلا شك- لها مقدمات، تهجم على الناس دون مقدمات، ولعل مقدماتها طمع الكفار بخيرات هذه البلاد(٤)، ولا سيما أنه ثبت من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**مُنعت**(٥) **العراق درهمها وقفيزها، ومُنعت الشام مُدْيَها ودينارها، ومُنعت مصر إردبَّها ودينارها، وعُدتم**(٦) **من حيث بدأتم، وعُدتم من حيث بدأتم، وعُدتم من حيث بدأتم**» (٧) شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم، وحسَّن إسناده شيخنا -رحمه الله- في «الصحيحة» (٢٧٧٧).

(٢) أي: مجمع، والمراد: المكان الذي يجتمع فيه المسلمون، ويتميز صفهم من فسطاط النفاق والكفر.

(٣) رواه أبو داود وأحمد، وصححه شيخنا -رحمه الله- في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» (ص٣٨).

(٤) كما في حديث تداعي الأمم.

(٥) أي: ستمنع، بضميمة وقرينة (وعدتم).

(٦) أي: عدتم غرباء كما بدأ الدين.

(٧) أخرجه مسلم.

والقفيز والمُدْي والإردبّ: مكاييل معروفة معينة في ذلك الزمان، وفي تسمية النبي ﷺ مكيال كل قومٍ باسمه المعروف عندهم دليلٌ على أنه ﷺ كان يعرف كلام الناس، وإن بعدت أقطارهم، واختلفت عباراتهم.

والنَّاظر في كتب الشُّرَّاح يجد أنهم -على اختلاف أعصارهم وأمصارهم، وعلى تباعد الزمن بينهم- كلٌّ منهم يقول: وقع هذا الحديث في زماننا، فلو نظرنا عند الخطابي -مثلًا- في «المعالم» (١)، وابن حزم في «المحلّى» (٢)، أو الحميدي في «الجمع بين الصحيحين»، أو القاضي عِيَاض في «إكمال المُعْلِم» (٣)، أو النووي في «المنهاج شرح صحيح مسلم» (٤)، أو صدّيق حسن خان في ((السراج الوهاج» (٥)، كلهم يقولون: وقع الحديث في زماننا، مع تباعد هذه الأزمنة(!)

وهذا الحديث يحتاج إلى تأن في إدراكه وفهمه.

لذا؛ فإنّ الفقهاء قد استنبطوا منه فوائد كثيرة، والذي يهمنا منه ما يخص الملاحم، والذي أراه راجحًا -بعد جمع ما ورد في الباب- أنّ هذا المنع لم يقع -بعد- بقرائن قويّة:

---

(١) انظر «معالم السنن» (٣/ ٣٥).

(٢) «المحلّى» (٥/ ١٧٠و ٧/ ٢٥٤).

(٣) وهو في «الإكمال» (٧/ ٢٥٤ و ٨/ ٤٣٤).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٢٨).

(٥) «السراج الوهاج» (١١/ ٣٦٧-٣٦٨).

١- منها ما ورد عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- موقوفًا -وهو في حكم الرفع- قال: «يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم» قيل: من أين ذاك؟ قال: «مِن قِبَلِ العجم»، ثم قال: «يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينار ولا مُدْي» قيل: من أين ذاك؟ قال: «من قِبَلِ الروم»، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا**»، أو قال: «**يحثو المال حثوًا، ولا يعدُّه عدًّا**» (١)؛ فذكر المهدي بعد هذا الأمر.

وفي هذا إشارة إلى أنّ هذا المنع إنما يكون قبل المهدي، وهذا الطمع لا يبعد -عندي- أن يكون هو بدايات الملاحم المذكورة.

ومما ينبغي أن نلفت إليه الأنظار في كلام جابر: أنَّ الذي يمنع أهل العراق خيرات بلادهم إنما هم العجم(٢)، بينما الذي يمنع أهل الشام خيرات بلادهم هم الروم(٣).

وتعجبني في هذا الباب رواية عند البيهقي بإسناد صحيح فيها زيادة على ما ذكر في الحديث الأول، قال: «**والذي نفسي بيده ليعودنَّ الأمر كما بدأ**» ذكرها ثلاثًا، ثم قال: «**ليعودنّ كلّ إيمان إلى المدينة كما بدأ منها، حتى يكون كلّ إيمان بالمدينة**».

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) من العُجْمة، وإن كان عربيًا وفي لسانه عجمة، ولا يحسن العربية؛ فهو أعجمي.

(٣) جنس من الناس معروف كالعرب والفرس والزنج، وهم الذين نسميهم: الإفرنج، وهم اليوم أهل أوروبا، وهم من ولد روم بن عيص بن إسحاق.

لذا وضع أبو عمرو الداني هذا الحديث تحت باب: «ما جاء في المهدي»، وكذا صنع القرطبي في «التذكرة» (١)؛ فوضعه تحت باب: «الخليفة الكائن في آخر الزمان المسمى بالمهدي، وعلامة خروجه»، جعل هذا المنع علامة على خروج المهدي، وكذا كلام صديق حسن خان في «السراج الوهاج» (٢)، قال: «وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه(٣)».

وطوَّل في تقرير: أنَّ المهدي هو المعنيّ.

فهذه الملاحم تكون عند الطمع في خيرات العراق، وخيرات الشام، والباقي من الدنيا أقلُّ من الزائل؛ نسأل الله -تعالى- أن يجعلنا جندًا للإسلام والمسلمين -على الحقّ واليقين-.

ومما ينبغي أن يذكر في هذا المقام -وهو مهم- حديث أبي هريرة، قال: قال ﷺ: «**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره؛ فلا يأخذ منه شيئًا**» (٤).

وهذا الانحسار ليس البترول؛ فهو مردود من وجوه عديدة.

وهذا الانحسار يكون قبل المهدي؛ بدلالة ما ثبت عن علي قال: «الفتن أربعة: فتنة السراء، وفتنة الضراء، وفتنة ذكر فيها معدن الذهب وانحسار الفرات، ثم قال: «ثم يخرج رجل من عترة النبي ﷺ»(٥)؛ فهذا الانحسار -أيضًا- يكون قبل المهدي.

---

(١) «التذكرة» (ص٥٥٨-٥٥٩).

(٢) «السراج الوهاج» (١١/ ٣٨١).

(٣) يعني: المهدي.

(٤) متفق عليه.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة بسنده إلى علي -رضي الله عنه-.

ويؤكد هذا: ما ثبت عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، قال: شُكي إلى عبدالله بن مسعود الفرات، فقالوا: نخاف أن ينفتق علينا(١)، فلو أرسلت من يسكّره(٢)، فقال عبدالله: «يوشك أن تطلبوا في قراكم(٣) هذه طستًا من ماء فلا تجدونه، ينزوي كل ماء إلى عنصره، فيكون بالشام بقية المؤمنين والماء» (٤).

والشاهد قوله: «**ويكون بقية المؤمنين بالشام**»؛ فعند الانحسار يكون بقية المؤمنين في الشام، وتبدأ الملاحم من هنا، فهذه كلها: إرهاصات، ومقدمات.

وهذا لا يعني: أنَّ بلاد الشام لا يوجد فيها مصائب ولا فتن، لا؛ فالشام لا بدَّ أن يصيبها شيء كثير، سواء في السابق أو اللاحق، وفتنة (التتار) لم تبق مدينة من بلاد الشام إلا وقد أصابها منها شرّ عظيم فيها؛ فإنهم أسعروا الدنيا نارًا.

والكلام في هذا طويل وكثير، وهنالك نصوص عديدة وكثيرة فيها بيان وصول الشر في كل مكان في آخر الزمان، والفتن ستشتد، والسعيد من يجنبها، وييسّر له المقام في آخر الزمان في الشام.

---

(١) أي: يغرقنا.

(٢) أي: يسد فاه.

(٣) قال الشيخ مشهور: «والصواب: (فراتكم هذا)، كما بينته في دراسة مفردة عن العراق في أحاديث الفتن».

(٤) أخرجه عبدالرزاق والحاكم وابن عساكر، وصححه شيخنا في «الصحيحة» (٣٠٧٨).
قال الشيخ -ثمت-: «والحديث وإن كان موقوفًا فهو في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبيل الرأي كما هو ظاهر».

عن أبي أمامة قال -وهو موقوف وله حكم الرفع-: «لا تقوم الساعة حتى يتحوّل خِيار أهل العراق إلى الشام، ويتحوَّل شرار أهل الشام إلى العراق» (١).

قال أبو أمامة على إثره قال ﷺ على أثره: «عليكم بالشام».

ولـه شواهد كثيرة جدًا: أجودها وأوضحها عن شرحبيل بن مسلم، عن أبيه قال: «بلغنا أنه لن تقوم الساعة حتى يخرج خيار أهل العراق إلى الشام، ويخرج شرار أهل الشام إلى العراق» (٢).

وعن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما-: «ليأتينَّ على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا كان بالشام» (٣).

والآثار والأحاديث تدلُّ على أنَّ تحوُّل المؤمنين في آخر الزمان سيكون إلى الشام، ولا سيّما عند اشتداد الفتن في أقطار الأرض، ولذا ثبت من حديث عبدالله بن حوالة: أنَّ النبي ﷺ قال: «**يا ابن حوالة؛ كيف تصنع في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صَيَاصي(٤) بقر؟**»، قال: قلت: أصنع ماذا يا رسول الله؟ فقال: «**عليك بالشام**» (٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٤٥)، وهو صحيح.

(٢) أخرجه ابن عساكر (١/ ٣٠١٦) بسند جيد.

(٣) أخرجه عبدالرزاق بسند جيد.

(٤) أي: قرونها، وشبّه الفتنة بها لشدتها وصعوبة الأمر فيها.

(٥) أخرجه أحمد والطيالسي.

عن مكحول، قال: «لَيَتمخَّرَنَّ الروم الشام أربعين صباحًا لا يمتنع عنها إلا دمشق وعمان»(١)، وفي رواية: «لا يمتنع منها إلا دمشق وأعالي البلقاء» (٢).

وعن عبدالرحمن بن سلمان، قال: «سيأتي ملكٌ من ملوك العجم يظهر على المدائن كلها إلا دمشق» (٣)؛ فهو يَمْخَرُ المدائن كلها إلا دمشق.

وعليه، فمن الأحاديث التي فيها ذِكْرٌ للفتن والملاحم وبلاد الشام شيء كثير يفيدنا مجمله: أنه يقع صلح بين المسلمين -والظاهر أنه يكون لهم كيان وإمام- وبين الروم، ونقاتل معهم عدوًا آخر، ويرفع واحد من الروم الصليب ويثور رجل مسلم عليه، فيقتله، ويكسر الصليب، وحينئذ يغدر الروم، وتبدأ الملحمة بيننا وبينهم.

وفي هذا حديثٌ عن يُسَير بن جابر، قال: هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجّيرى(٤) إلا: يا عبدالله بن مسعود جاءت الساعة: قال: فقعد ابن مسعود وكان متكئًا، فقال: «إنَّ الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح

---

(١) أخرجه أبو داود في رواية اللؤلؤي، ومن طريقه ابن عساكر بإسناد صحيح إلى مكحول.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن».

(٣) أخرجه أبو داود ومن طريقه ابن عساكر، وصحّح إسناده مقطوعًا على عبدالرحمن -هذا- شيخنا -رحمه الله- في «صحيح أبي داود» (٣٨٧٧).

(٤) أي: ليس له عادة.

بغنيمة»(١)، ثم قال ابن مسعود بيده هكذا، ونحَّاها نحو الشام، وقال: «عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام».

وفي رواية: «عدوٌّ يجمعون لأهل الشام»، قلت: الروم تعني؟ قال: «نعم؛ ويكون عند ذاك القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شُرْطةً للموت لا ترجع إلى غالبة، فيقتتلون ثلاثة أيام حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء، وهؤلاء؛ كلّ غير غالب، وتفنى الشُّرْطة(٢)، ثم يشترط المسلمون شُرْطةً للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالب، وتفنى الشُّرْطة، ثم يشترط المسلمون شُرْطةً للموت، لا ترجع إلا غالبة».

وفي المرة الثالثة -في هذه المقتلة، أو الملحمة-، يكون فيها المسلمون في دمشق، ويكون الروم فيها بدابق أو بالأعماق(٣)، ويكونون في هذا المكان بحكم الهدنة الأولى التي كانت بينهم، ثم في المرة الثالثة قال النبي ﷺ: «لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء؛ كلٌّ غير غالب»، حتى إذا جاءت المرة

---

(١) أخرجه مسلم.

يعجبني في هذا -تَظَرُّفًا- كلامٌ أورده السخاوي في «الضوء اللامع» (١/ ٣٧٧) في ترجمة عالم بالفرائض والمواريث أنه كان يقول: «ما دمت بين أظهركم فانتم آمنون من ظهور الدجال»؛ مستدلاً بقول ابن مسعود: «لا يقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة».

(٢) تقع مقتلة عظيمة في صفوف المسلمين.

(٣) وهما قريتان بالقرب من حلب.

الرابعة يأتيهم مَدَدٌ من المدينة، من خيار أهل الأرض؛ كما قال النبي ﷺ في حديث أبي هريرة(١).

ثمّ أخبر النبي ﷺ في أخر هذا الحديث: أنَّ الشيطان يأتيهم ويقول: «**إنّ المسيح قد خلفكم في أهليكم**»، هذا مجمل ما ورد من الملاحم.

وينبغي أن ننوّه إلى أنه تزداد شهوة الكلام عند حلول الفتن، وتظهر جرأة كثيرة من الناس وقتها، فيحلو لهم آنذاك استرجاع أحاديث الفتن، وتقليب صفحاتها، ويروون ذلك، ويزداد في اجتماعهم في المجالس!

فالواجب التنبيه والتحذير من الفتن، والتأني في تطبيقها أحاديثها على الواقع الحالي، أو الإسقاط؛ فالإسقاط -هكذا- ليست له قواعد دقيقة، وهو ليس من صلب العلم، وإنما هو من مُلَحه؛ فتنبّهوا.

---

(١) أخرجه مسلم.

تاريخ الجهاد في بلاد الشام

❍ فضيلة الشيخ محمد بن موسى آل نصر:

يجب أن نعلم: أنّ الجهاد في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا -بالحجة والبيان، والسيف والسّنان- ذروة سنام الدعوة السلفيّة؛ لأنه ذروة سنام الإسلام، لكنه الجهاد المنضبط بضوابط الشرع، وقواعد الدين، ومقاصد الشريعة؛ الجهاد الذي رايته إسلاميّة تتبنّى الكتاب والسنّة، ومنهج سلف الأمة.

ولو أردنا أن نَعُدَّ المجاهدين والشهداء من أبناء هذه الدعوة المباركة وعلمائها لطلع علينا الفجر ولم ننته، ولكنَّ خصوم هذه الدعوة يتنكَّرون لكل خير يجريه الله -عزَّ وجل- على أيدي علمائها ودعاتها.

هذه المعارك المذكورة لا شك أنها -حقًّا- معارك مفصليّة؛ فقد غيّر الله -عزّ وجلّ- بها وجه التأريخ، وكانت هذه المعارك حسمًا لشرٍّ داهم، أراد بلاد الإسلام بشر مستطير؛ لأنَّ أعداء الإسلام لا يتركون هذه الأمة تنعم بالخير والسعادة، وتعبد ربّها بأمن وأمان، بل يغيظهم أن يتمسّكوا بدينهم، وأن يقيموا شريعة ربهم، ويحيوا سنة نبيهم، ولذلك تتوالى الحملات -بقوة- لخلع الأمّة من جذورها، واجتثاثها من أصولها، وإبعادها عن دينها، وهكذا يفعل شياطين الجن والإنس فهم -دائمًا- يجتمعون على هدف واحد ضد المسلمين.

معركة اليرموك: معركة من المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام، وفي صدر الإسلام، وكانت هذه المعركة في بلاد الشام، إذ قد اهتم أبو بكر الصديق -رضي الله عنهم- في فتح هذه البلاد، فما أن فرغ من حرب المرتدين حتى حرّك جيوشًا إليها، وجهّزها، فبعث عمرو بن العاص إلى فلسطين، وسيّر يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة -رضي الله عنهم-، فتمّ فتح أكثر بلاد الشام.

ثم اجتمع الروم عند نهر اليرموك، وتقابلوا مع المسلمين؛ فكان النصر حليفًا لصحابة رسول الله ﷺ بقيادة خالد بن الوليد -رضي الله عنه-، وارتحل هرقل عظيم الروم عن سوريا قائلًا لها: «سلام عليك يا سوريا، سلامًا لا لقاء بعده»!

معركة حطين: وموقعها بين بيسان ونابلس، شارك فيها أكثر من (٦٠) ألفًا من الصليبيين، وكان مقصودهم الاستيلاء على بلاد الشام واحتلالها، وقطع الطريق إلى مكة، لكنّ الله -سبحانه وتعالى- أيّد الأمّة بأسد مغوار هو صلاح الدين الأيوبي.

حينما تولّى صلاح الدين الإمامة والخلافة: وجد البلدان والأقطار والممالك الإسلاميّة شذر مذر -كأيدي سبا-؛ فوحَّد الممالك الضعيفة الهزيلة، وأقام فيهم العدل، وأقام فيهم الحكم الإسلامي، ثم عبَّأهم للقتال والجهاد.

وكان للعلماء دور مشرّف في هذه المعركة في تحريض الناس، وترغيبهم في القتال، فوقعت هذه المعركة، واستفاد صلاح الدين من الحشيش الجافّ الذي كان تحت خيول الصليبيين، فأوقد فيه النار، وكان يومًا شديد الحرّ؛ فكانت الهزيمة الساحقة الماحقة للصليبيين.

أمّا معركة عين جالوت؛ فوقعت في (٢٥) رمضان سنة (٦٥٨ هـ)، وكان خروج المغول من بلادهم حيث اجتاحوا بلاد إيران ثمّ العراق، وفعلوا بالعراق ما فعلوا من استباحتها، وتدميرها، وإحراقها، ونهب كتبها، وقتلهم أكثر من ألف ألفٍ من المسلمين، حيث بلغ الرعب مبلغًا عظيمًا في الأقطار المجاورة لا سيّما بلاد الشام؛ لقربها من العراق، وحاصروها، ودخلوها، وحاصروا دمشق ودخلوها، ثمَّ أرسلوا رسائل تهديد ووعيد إلى القاهرة إلى (قطز)، لكنه لم يعبأ بهم، بل عبَّأ الجيش وأرسل حملة إلى غزة التقت بجيش التتار، وألحقت بهم شرّ هزيمة، ثم التقى بهم في معركة عين جالوت، وهناك وقعت المعركة الحامية الدامية بين جند الإسلام بقيادة (قطز)، وبين المغول (التتار) وكانت الهزيمة لهم، وردّ الله -عزّ وجلّ- كيد المغول عن الممالك كلها.

ذِكر بعض علماء
المسلمين الذين دخلوا بلاد الشام

❍ فضيلة الشيخ باسم بن فيصل الجوابرة:

قال الوليد بن مسلم -رحمه الله-: «دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ».

وذكر ابن سعد(١) ما يزيد على مئة رجل من صحابة رسول الله ﷺ دخلوا الشام، منهم: أمين هذه الأمّة أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأحد العشرة المبشرين بالجنّة: سعيد بن زيد، ومؤذن رسول الله ﷺ بلال بن رباح، وأعلم الأمّة بالحلال والحرام: معاذ بن جبل، وزاهد الأمّة: أبو الدرداء، وأحد النقباء: عبادة بن الصامت، وسيف الله المسلول: خالد بن الوليد، وابن عم رسول الله ﷺ: الفضل بن عباس، وأمير المؤمنين: معاوية بن أبي سفيان، وأبو أمامة الباهليّ صُدي بن عجلان... وغيرهم كثير.

ومن التابعين: يزيد بن الأسد الجُرَشي، وكعب الأحبار، وأبو مسلم الخولاني، والأوزاعي.

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٩/ ٣٨٨-٤٤٢).

ودخل من العلماء من بعدهم: قارئ دمشق عبدالله بن عامر اليحصبي، والإمام الطبراني، والحافظ الحجّة ابن عساكر، والضياء المقدسي صاحب كتاب «المختارة»، والأسرة العلميَّة المباركة (بنو قدامة)، وعلى رأسهم الفقيه: موفق الدين صاحب «المغني»، وإمام مصطلح الحديث أبو عمرو ابن الصلاح، والنووي، والعَلم الإمام مفخرة أهل الشام وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وتلاميذه: المزي، والذهبي، وابن كثير، وابن القيم، وابن رجب، وابن عبدالهادي.

ودخلها ابن جماعة، والبقاعي، والجزري، والسفاريني، وعبدالغني المقدسي، وجمال الدين القاسمي، وخاتمة المحدثين وإمام السلفيين شيخنا المحدث العلامة محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني -رحمه الله-.

روى الفَسَوي عن سليمان بن يسار قال: «لو نزل أَخَوَان من حصن، فسكن أحدهما الشام، وسكن الآخر العراق، ثم لقيت الشامي، لوجدته يذكر الطاعة وأمر الطاعة والجهاد، ولو لقيت الآخر؛ لوجدته يسأل عن الشّبه؛ يقول: كيف شيء كذا وكذا -إلى آخره-؟!».

يقول الإمام الأوزاعي -رحمه الله-: فيها فائدة عظيمة، وهي حرص أهل الشام على الطاعة والجهاد، أما غيرهم فهم أصحاب شبه.

وقال: «كان الخلفاء بالشام إذا وقعت بليّة سألوا عنها علماء الشام وعلماء المدينة، وكانت أحاديث أهل العراق لا تجاوز جوار بيوتهم، فمتى كان علماء الشام يحملون عن خوارج أهل العراق؟!».

قلت: ولا يمكن أن نحمل عن الخوارج سواء أكانوا في العراق أو في غيره من الآفاق!

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الفهرس

●فاتحة القول ٣
●اهتمام علماء الإسلام ببلاد الشام ٥
●الآيات التي وردت في كتاب الله في ذكر بلاد الشام ١٢
●ذكر بلاد الشام في سنّة رسول الله ﷺ ١٨
●بلاد الشام.... والفتن والملاحم ٢٣
●تاريخ الجهاد في بلاد الشام ٣٣
●ذكر بعض العلماء الذين دخلوا الشام ٣٦
●الفهرس ٣٩

بلاد الشام و مستقبل الإسلام

الأردنّ – عمّان – شارع الحريّة – مبنى ٤٩
00962-797509155
00962-6-4200305
@AlalbanyCenter
alalbany.org

جمعية مركز الإمام الألباني للدراسات والأبحاث

صندوق بريد ١١٠٠٨٦
رمز بريدي ١١١١٠
رقم الحساب البنكيّ:
(١٥٠٨١٦٢/٤١٠/٤٠٠/٠٠١)
البنك الإسلامي الأردني–فرع شارع الحرية
IBAN:jo94iiba1230000001230002340500